

تفسير البحر المحيط

@ 137 @ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْهُ إِلَّا جَعَلَتْهُ

كَالرَّميمِ * وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ *

فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ *

فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ

قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ { . .

{ هَلْ أَتَاكَ } : تقرير لتجتمع نفس المخاطب ، كما تبدأ المرء إذا أردت أن تحدثه

بعجيب ، فتقرره هل سمع ذلك أم لا ، فكأنك تقتضي أن يقول لا . ويستطعمك الحديث ، وفيه

تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وإنما عرفه

بالوحي ، وضيف الواحد والجماعة فيه سواء . وبدأ بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وإن

كانت متأخرة عن قصة عاد ، هزماً للعرب ، إذ كان أباهم الأعلى ، ولكون الرسل الذين وفدوا

عليه جاءوا بإهلاك قوم لوط ، إذ كذبوه ، ففيه وعيد للعرب وتهديد واتعاظ وتسلية للرسول

صلى الله عليه وسلم) على ما يجري عليه من قومه . ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند الله

تعالى ، كقوله تعالى في الملائكة : { بَلَّغْ عِبَادُكُمْ كُرْمُونَ } ، قاله الحسن ، فهي

صفة سابقة فيهم ، أو لإكرام إبراهيم إياهم ، إذ خدمهم بنفسه وزوجته سارة وعجل لهم القرا

ة . وقيل : لكونه رفع مجالسهم في صفة حادثة . وقرأ عكرمة : المكرمين بالتشديد ، وأطلق

عليهم ضيف ، لكونهم في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم ، أو لحسانه لذلك . وتقدم ذكر

عددتهم في سورة هود . وإذ معمولة للمكرمين إذا كانت صفة حادثة بفعل إبراهيم ، وإلا فيما

في ضيف من معنى لفعل ، أو بإضمار اذكر ، وهذه أقوال منقولة . وقرأ الجمهور : قالوا

سلاماً ، بالنصب على المصدر الساد مسد فعله المستغنى به . .

{ قَالَ سَلَامٌ } بالرفع ، وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره : عليكم سلام . قصد أن يجيبهم

بأحسن مما حيوه أخذاً بأدب الله تعالى ، إذ سلاماً دعاء . وجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ،

أي أمرني سلام ، وسلام جملة خبرية قد تحصل مضمونها ووقع . وقال ابن عطية : ويتجه أن يعمل

في سلاماً قالوا ، على أن يجعل سلاماً في معنى قولاً ، ويكون المعنى حينئذ : أنهم قالوا

تحية ؛ وقولاً معناه سلاماً ، وهذا قول مجاهد . وقرأ ابن وثاب ، والنخعي ، وابن جبير ،

وطلحة : قال سلم ، بكسر السين وإسكان اللام ، والمعنى : نحن سلم ، أو أنتم سلم ، وقرأنا

مرفوعين . وقرء : سلاماً قالوا سلماً ، بنصبهما وكسر سين الثاني وسكون لامه . { قَوْمٌ

مُنْكَرُونَ } ، قال أبو العالية : أنكر سلامهم في تلك الأرض وذلك الزمان . وقيل : لا

نميزهم ولا عهد لنا بهم . وقيل : كان هذا سؤالهم ، كأنه قال : أنتم قوم منكرون ، فعرّ فوني من أنتم . وقوم خبر مبتدأ محذوف قدره أنتم ، والذي يناسب حال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه لا يخاطبهم بذلك ، إذ فيه من عدم الإنس ما لا يخفى ، بل يظهر أنه يكون التقدير : هؤلاء قوم منكرون . وقال ذلك مع نفسه ، أو لمن كان معه من أتباعه وغلما نه بحيث لا يسمع ذلك الأضياف . .

{ فَرَاغَ إِلَيْ أَهْلِهِ } : أي مضى أثناء حديثه ، مخفياً مضيه مستعجلاً ؛ { فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ } : ومن أدب المضيف أن يخفي أمره ، وأن يبادر بالقرا من غير أن يشعر به الضيف ، حذراً من أن يمنعه أن يجيء بالضيافة . وكونه عطف ، فجاء على فراغ يدل على سرعة مجيئه بالقرا ، وأنه كان معداً عنده لمن يرد عليه . وقال في سورة هود : { فَمَّا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ } ، وهذا يدل أيضاً على أنه كان العجل سابقاً شيه قبل مجيئهم . وقال قتادة : كان غالب ماله البقر ، وفيه دليل على أنه يحضر للضيف أكثر مما يأكل . وكان عليه الصلاة والسلام مضيافاً ، وحسبك وقف للضيافة أوقافاً تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها . .

{ فَفَرَّ بَهُ إِلَيْهِمْ } : فيه أدب المضيف من تقريب القرا لمن يأكل ، وفيه العرض على الأكل ؛ فإن في ذلك تأنيساً للأكل ، بخلاف من قدم طعاماً ولم يحث على أكله ، فإن الحاضر قد يتوهم أنه قدمه على سبيل التجميل ، عسى أن يمتنع الحاضر من الأكل ، وهذا موجود في طباع بعض الناس . حتى أن بعضهم إذا لج الحاضر وتمادى في الأكل ، أخذ من أحسن ما أحضر وأجزله ، فيعطيه لغلماه برسم رفعه لوقت آخر يختص هو بأكله . وقيل : الهمزة في ألا